مقالة في اليزيدية [1] (تابع)

بقلم الراهب بهنام الموصلي السرياني
اليزيدي اصلاً الكاثوليكي مذهباً

عُني بنشرها
الاب اغوستينوس شبلي اللبناني

في شيوخ اليزيدية واصحاب الرتب عندهم

الخوجك : ان اليزيدية يعتبرون الخوجك بمنزلة نبيّ ، وزد على ذلك ان الخوجك اذا اراد ان يتنبأ يلتحف بعباءة ويضطجع على الارض ثم يدمدم فيرنم فيغني فيروي للحاضرين ما تراءى له في الرؤيا النبوية ويقول : اني اعرف كل ما يحدث في العصور الخالية والوقائع الماضية من ايام آدم وحوّاء الى يومنا هذا.

والخوجك ايضاً بمنزلة الطبيب عندهم ، فانهُ اذا سمع بمريض واحد يعودهُ للحال ليصف لهُ الدواء المناسب لدائه وكيفية استعماله . وهذا الدواء هو واحد لا يتغيّر للعاهات ، وهذا الدواء العام هو تراب من المزار الفلاني حسب اختلاف المرض ، وهذا التراب يضعهُ الخوجك نفسهُ في الجبهة او على بطنهِ او على صدرهِ أو ما بين كتفيهِ بموجب حالة المريض ونوعيّته .

أمّا القوّال فليس من الذين يتقلّدون المناصب الدينية بأيّة خصوصية، بل هو بمنزلة المغنّي او المرتّل عند الصنم . ولا يختصّ بتنصيبه بنوع خصوصي بل يُشترط ليكون كذلك ان يكون من سلالة بيريّة ، فهي اذاً وظيفة وراثية والبيورة كلّهم عامّيّون لا يعرفون القراءة ولا الكتابة إلّا عزمة واحدة من سلالة الشيوخ تسكن بقرية بعشيقا وهي قريةٌ واقعة في حضيض جبل مقلوب ولها وحدها بين جميع اليزيدية من هذه البلاد او من البلاد الاجنبية ، الحقّ والامتياز اذ يتعلّم فيها الابناء القراءة والكتابة .

---

١) راجع اليزيدية قديماً وحديثاً . وهي ثلاثة فصول في مستندات اليزيدية وعاداتهم وبعض حوادث تاريخهم وسيرة احد امرائهم المعاصرين لاسماعيل بك چول امير اليزيدية في سنجار ، عُني بنشرها الدكتور قسطنطين زريق . المطبعة الاميركانية ، بيروت ، سنة ١٩٣٤

واذا كان الابناء عديدين فالبكرُ وحدهُ يحقُّ لهُ الامتياز بذلك الانعام ليكون بمنزلة الفقيه او الملاّ الاكبر عند الامير العظيم ، والكتابُ الذي يطالع بهِ هذا الفقيه هو مصحف رش المذكور سابقاً وهذا مؤكد لا ريب فيهِ بل لا يختلف في امر صحتهِ . وفوق البير يوجد الشيخ الاعظم ورتبته وراثية ايضاً ، وهو بمنزلة حبر الاحبار عند النصارى ، وسائر الاحبار هم بقيّة الشيوخ ، ومقرُّهُ في قرية الشيخ عادي ، وهي بُليدةٌ قريبة من باعذرى وبيد هذا الشيخ الحلُّ والعقد ، الامر والنهي ، في كل ما يتعلّق بالشؤون الدينية ، يأتيهِ اليزيدية من جميع الانحاء والاصقاع ليستفتوه .

ويعتقد اليزيدية ان اجداد الشيوخ الموجودين اليوم احياء على الارض نزلوا من السماء شيوخاً التشت فيهم انواع الفضائل التي تميّزهم بعضهم عن بعض . وكلُّ عزمة من هؤلاء الشيوخ تمتاز باجتراح نوع من الآيات والعجائب لا يجترحها من كانوا من غير تلك العزمة . والدليل عندهم على ان هؤلاء الشيوخ شرف الدين ، وهو القسر عندهم ويُلقّب جدّ شيخ آخر . أمّا دين وهو عماد السما والدين . ومنهم من يُلقّب جدُّهُ بشيخ الشمس . اما سلالة الشيخ منت فقد مُنحت من تزقي العجائب والخوارق في رصد الحيّات والعقارب ، ويزعمون انهم اذا مسكوا الحيّات الخبيثة لا تؤذيهم وهم يأكلون لحومها ، والبعض من هؤلاء الشيوخ يُلقّب بالشيخ المهدي ، ويقولون : انهُ يأتي المهدي او المسيح الدجّال . ولسلالة هذا الشيخ قوّةٌ وهي انهُ اذا حدث وبا او طاعون او نحو ذلك من الامراض ، جاء الشيخ القرية ورسم فائدة دائرة حولها زاعماً بذلك انهُ افتداهم من هذه الاوبئة فلا تعود تفتك بهم لانهُ قدّم نفسهُ قرباناً للطاوس الملك ، بل وبعض الاحيان هذا الطاوس يعفو عنهم بدون توسُّط الشيخ اذا رأى ذلك مناسباً لامرهم . ولكلّ شيخ من شيوخ اليزيدية مريدون ومحبّون لهُ ومحسنون اليهِ ، فاذا كان لذلك الشيخ مريدون كثيرون واغنياء عديدون ، كان الشيخ بذات الحال اسعد . وأمّا الذين مريدوهم فقراء او قليلون فتكون عيشتهم عسرة ، لان العادة عندهم ان كلّ شيخ يطوف مرّتين في كلّ سنة على مريديه فيجمع منهم غنماً وبقراً وحنطاً وصوفاً ونحو ذلك ان كانوا من اهل الزرع وإلّا فيجمع حنطةً وشعيراً وقطناً وأرزاً

وبصلاً اذا كانوا من ܟܘܟܪ̈ܐ اي من الرحّل فيجمع بُسطا ونقوداً اذا كانوا من الاغنياء. وكلُّ من لا يُرضي شيخهُ يُحرم. واذا أبسل يُعدّ كسقط المتاع الذي لا يشرى ولا يباع ولا يكالمهُ احد ولا يؤاكله يزيديًا طالما هو في هذه الحالة .

ومن شيوخ اليزيدية من يُلقَّب بشيخ جروه ، وخوارقه متوقفة على طرد العقارب بقوة الماء ، فانهُ يدمدم عليهِ بعض صلوات ثمَّ ينضحهُ في زاوية البيت فيعوض اهله عن تعبه بان يدفعوا له دراهم غير قليلة . ومن هؤلاء الشيوخ من يُلقَّب بشيخي ܘܡܫܟܘ اي شيخ الديك ، فهذا مهنتهُ ان يجول القرى وفي اي بيتٍ وجد دجاجةً ܡܫܟܘܫܟܘ ܘܒܨܠ اخذ منها فرُوجاً واحداً فيجمع بهذه الصنعة اكثر من ٣٠ فرُوجاً من كلّ قريةٍ فيبيع كلُّ واحدٍ منها بقرشين او ثلاثة غروش صاغ . ولكلّ واحدٍ من اليزيدية شيخ خصوصي ܘܒܪܐ خصوصي يكون لهُ بمنزلة الاخ في الآخرة ويقال لهم بلسانهم : ܒܪܐ آخرة ، اي اخ الآخرة ، فاذا مات اليزيدي يجيُ شيخهُ ويغسلهُ ويكفّنهُ ويكون ܠܒܪܐ له في بادية الآخرة اخاً والشيخ دليلهُ في ذلك السبب ، وهذا الشيخ قد مهر في هذه الصناعة لانه تلقّنها عن جدّه الذي نزل من السماء فحينئذٍ يرشدهُ ويهديه في الطريق المؤدية الى الجنّة . ܒܪܐ ܐܚܪܬܐ يرافقه ويشجعهُ لئلا يضلّ جهلاً او خوفاً. لكن يا للعجب العجاب ان ܠܒܪܐ نفسه لا بل للامير ذاته ، بل ومن العجب ان الشيخ ܒܪܐ خصوصيًا وشيخاً خصوصيًا لهذه الغاية . فيالهم مبصرين عمي ، وهذا من اغلب الاضداد . هذا من طرف الرئاسة الدينية ، أمَّا من جهة رئاسة الدنيوية فان لليزيدية ميرًا وهو الامير الاعظم . ويدعى امراء هذه السلالة من نسل يزيد الابن الحبيب للطاوس الملك ، فان المير الحالي هو من اسرة ميرزا بك واسمهُ بشير بك ابن مرزا الذي قتلوهُ سنة ١٩١٣[1] ، ولهذا الامير تؤدّى جميع الخيرات والارزاق والاموال ، ولهُ تتعدُّ الفلوس في الايام المعينة وبالوسائط المرتبة عندهم من قديم الزمان كوسائط السناجق التي مرَّ ذكرها ، وهذه السناجق منها اليوم مضبوطة بيد الحكومة منذ ايام عمر باشا الفريق، وسلطة هذا الامير تمتد الى جميع رعيته ان في البلاد العثمانية وان

١) ان امير اليزيدية الحالي هو تحسين بك ابن سعيد بك ، تولّى الامارة بعد وفاة ابيه سعيد ، في اواخر تموز من سنة ١٩٤٤ .

في البلاد الاجنبيـة ، ومقرُّهُ في قصر عظيم في باعذرى على حدود دهوك ، وهي قرية تبعد عشر ساعات عن الشمال الشرقي من مدينة الموصل ، وسلطتهُ مطلقة ويوصلها الى الروس بواسطة رجال تحت امره ، وهؤلاء الرجال يبلّغونها الى رعيته المنتشرين في جميع البلاد ، وان الدولة العليَّة العثمانية تعتبر هذا المير الاعظم اميرًا مطلق السلطة .

المحرَّمات عند اليزيدية

من المحرَّمات عندهم كل التحريم الصلوات العمومية . أمَّا الصلوات الخصوصية فهي وان كانت ايضاً محرَّمة شرعاً فانها تُستعمل فعلًا في اعمال خصوصية ، او يستعملها الافراد كلٌّ على حدته كما تقدم القول ٥ الجمعة يتلَّون الصلوات شفاهيًا خَلَف عن سَلَف ولا يجهرون بها بل يدمدمون بها دمدمةً .

ومن المحرَّمات تعلُّم القراءة والكتابة . ويُحرَّم من اللحوم لحم الخنازير ، ومن الاطعمة كل ما ذكرناه في باب طرائقهم وعقائدهم ، وربَّما وُجد بينهم قومٌ يأكلون اللوبياء . أمَّا الحسّ ولحم الخنزير ٥ الحمامة الخضراء او الملفوف فرؤيتها وحدها عندهم حرامٌ ، وبالاخصّ الحسّ فانهُ عندهم من اخسّ ما خلقه الله على وجه الارض ، ومجرَّد رؤيته حرامٌ حتى اذا ارادوا ان يعنوهُ قالوا : ذاك الوحش . ولا يأكلون السمك على اختلاف انواعهِ لانهم يقولون ان يزيد حين برح بلدهُ طالباً بلاد اليزيدية انتظم السمك تحت اقدامه انتظاماً عجيباً حتى انهُ تمكن من المشي على ظهره في البحر الى ان وصل البرّ فزال حينئذٍ من تحت اقدامه الشريفة .

ومن المحرَّمات عندهم انهم لا يشربون من كوزٍ أو جرَّة أو قارورةٍ تبقى لانهم يزعمون ان ما يبقى هو روح حيَّة موجودة فيها . ويُحرَّم عليهم حلق الشوارب واستئصالها بالمقص ، بخلاف اللحية فيجوز كلُّ ذلك لكن يجوز ان تُحفظ الشوارب ، ويُستحب ان تُعفى اللحى . والقاعدة المطردة عندهم ان تحلق عامة الرجال لحاها وتعفى شواربها . اما الشيوخ من العامة فلا يجوز لهم ذلك ، بل من المحتوم عليهم ان يعفوا الشوارب واللحى . ويُحرَّم عندهم البصاق بصوتٍ يخرج من الفم او الشفتين لانهم يتخذون ذلك شتماً للطاوس الملك اي الشيطان . ويؤولون غاية الباصق بهذه الصورة ، توجيه التفلة الى الطاوس الملك .

ويُحرَّم على اليزيدية لبس الثياب الزرقا. ويُحلَّل لهم بل ويُلزمون بلبس الثياب البيضاء. ان كان من العامة ، ولبس الثياب السودا. اذا كانوا من خَدَمَة الدين ، وقد تقدمت الاشارة الى ذلك . ويقولون بهذا الخصوص : ان الابيض يمكن ان يُصبغ باللون الازرق ، أمَّا الازرق ليس لهُ هذه الخاصية ، ووراء ذلك معنًى وهو : كل من يُولد خارجاً من الديانة اليزيدية لا يمكنهُ ان يصير يزيديًّا ، كما ان الازرق لا يمكنه ان يكون ابيضاً . أمَّا اليزيدي فيمكنهُ اذا حاد عن طريقهِ ان يتدين بديانةٍ أُخرى ، كما ان الابيض يمكن ان يُصبغ بلونٍ آخر .

ولا يجوز لهم ان يلبسوا السراويل بعد الغسل وهم وقوف ، لكن ذلك يجوز بعد قضاء الحاجة ، ولا يقضون الحاجة الطبيعية في المحلّ المبني لهذه الغاية اي في الكنيف بل في الفضاء وفناء الدار ونحوهما ، لانهم يزعمون ان غير اليزيدية يبينون الطاوس الملك دائمًا بافتكارهم السيء انهُ موجود في الكنيف فاذا دخلوها وقضوا الحاجة فيهِ يكون كأنهم فعلوا ذلك على طاووسهم ، وهذا اثمٌ دونه كلّ اثم .

أمَّا الثياب الحمراء فليست محرَّمة عليهم لكنَّهم لا يلبسونها إلَّا النساء. وذلك قليلون .

الملبوس والزّي عندهم

ان ملبوس الرجل ثوب ابيض يزردهُ من الوراء. وصدره مُجوبٌ جوباً مستديرًا الى قدّام ، ويفعلون ذلك تلميحاً الى النور الذي نزل على الشيخ عادي بهيئة قرص مستدير بعد ان صام اربعين يوماً ، وهذا الجوب يسمّى طوق يزيد وما عدا الثوب يلبسون سراويل بيضاء على هيئة الشروال السوري . وأمَّا عمرتهم اي ملبوس الرأس عندهم فهي عمامة بيضاء صغيرة الحجم ، ويلبسون في ارجلهم الجالات والنساء يلبسن دشداشة طويلة وتحتها سراويل وعليهن ملحفة تُسمّى عندهنّ ميزر (والميزر في تلك البلاد يلبسها جميع الملل ، وهي مكان الوزرة في سوريا) وتلبس الميزر بارسال الطرف الواحد منها تحت الإبط الأيسر واخراج طرفهِ الآخر من الجهة الاخرى حتى يلتقي مع الطرف الاخر على الكتف من اليمين ، ثمَّ يعقد ويُترك الجانب الايمن من المرأة من فوق الى تحت

غير محجوب ، والفقيرات من النساء يمشين حافيات ، وأمّا اذا كنّ غنيات فيلبسن في ارجلهنّ اللاجار . وأمّا عمرة النساء فهي عبارةٌ عن شيء يشبه عمامة الرجل لكن بوضع خصوصي بينّ ، وهي تكون بيضاء او سوداء ، كلّ امرأةٍ يجب اختبارها ، والسوداء تسمّى عندهنّ حمد ، وهي عندهم كلمة حمد التركية ومعناها عمامة خفيفة محمد التركية مأخوذة من حمد الفارسية ومعناها غطاء او ستر او لبس . . .

الزواج عند اليزيدية

لا يباح لابناء الشيوخ ان يتزوجوا غير بنات الشيوخ ، ولا يحلّ لابناء البيورة ان يتزوجوا غير بنات اللاتي من مقامهم ، ولا يباح لعوام اليزيدية ان يتأهلوا بنات الشيوخ او البيورة لكن يؤذن لهم ان يتأهلوا بنات القوّالين والخواجك ويجوز لابناء القوّالين والخواجك ان يتأهلوا بنات العوام من اليزيدية . وايُّ شيخ او شيخة وبير او بيرة اتى او اتت واحدًا او واحدة من غير طبقة او طبقتها قتل يقتل او تقتل ، وايّ واحد أو أيّة واحدة وُجد او وُجدت مضاجعاً او مضاجعة شيخةً او شيخاً بيريةً او بيرًا مرتاً يموت . ويُحرّم عليهم الصلاة وغسل الرأس وغزل بالدولاب في ليلة كلّ اربعاء .

أمّا طريقة الزواج فتتوقف على الرضا بين الابن والابنة ، ثمّ تكاشف البنت والدتها بما في قلبها وتذكر لها اسم الابن فتذهب الأمّ وتخبر بذلك قرينها قائلة : ان ابنتنا تطلب فلاناً ، فيتراجع اب البنت مع اب الابن ليتم الرضى بين الحماتين ، ثمّ بعد ذلك يتمّ الفريقان بامر الخطبة فيأتي اهل الابن واهل البنت فتلبس هذه خاتماً ، ثمّ يُقضى جانبٌ عظيم من الليل في اللهو والقصف وشرب المسكرات واكل الزبيب الاسود تمّا لا يستغنى عنهُ في مثل هذه الاحتفالات . واذا تمّ ذلك يشرع الفريقان منذ اليوم الثاني بتهيئة الجهاز والثياب ونحوهما ويُنفّذ اهل الابن لاهل البنت ستمائة او سبعماية فرنك لاعداد اللازم لها . ثمّ بعد يخبر بعض الاصدقاء الى عدد عشرين واحد ليستعدوا لشهود العرس في اليوم المعيّن فيفهمون بذلك انهُ من الواجب عليهم ان يحضّر كلّ واحدٍ منهم منديلاً من الاريسم او غير ذلك من هذا القبيل ليهديه الى

العروس . واذا جاء اليوم المعيّن يأتي اهل القرية الى بيت الابن فيقدم لهم اشربةً من المسكرات من مثل العَرَق ونحوه ومعها النقل وبالاخص الزبيب ، ويُدعى الطبّال والزمّار وغيرهما فيوقعون اغانياً بالاتهم مدة ثلاثة ايام . واذا تم ذلك تركب النساء الدواب كل امرأتين دابّة وكذلك الرجال ومع كل رجلٍ ولدٌ راكبٌ ردفهُ . ثمَّ يتوجّه هذا الموكب الحافل الى بيت البنت فاذا وصل الرجال الى الدار اطلقوا الآلات النارية التي بايديهم طلقاتٍ متعددة على البيت نفسه بدون رصاص ليخبروا من فيهِ انهم قدموا اليهم ، فيخرج اب البنت ويقول : ما تريدون ؟ يقولون : نريد الابنة . فيدخل الاب ويخبر الأمَّ بذلك . ثمّ يوضع كلُّ ما يخصُّ الابنة خرجاً ويُؤخذ ازار خصوصي في مثل هذا المقام يسمّونهُ « خيلية » يكون احمر في الغالب ويُلقى على العروس من رأسها الى قدميها . ثمَّ يأخذ الولدانُ ارداف الرجال ملاعق من بيت الابنة ويشكّها كلٌّ منهم في رأسه ويأتون بيت الابن ويوقع الاهل الات الطرب على معازفهم ثانيةً مدّة ايامٍ متوالية بحضور العروس ، ولا يدخل الرجل بعروسهِ إلّا في الليلة الثالثة . وقبل انقضاء تلك الليلة الاخيرة بساعاتٍ ياتي الشيخ ليلًا الى بيت الرجل ويأخذ بيد الشاب ويدخله حجرة عروسهِ ثمَّ يجعل يد الابنة في يد الابن ويُلقي على الاثنين خيليَّةً واحدة ، ثمَّ يسأل الشيخ الابنة : من انتِ . فتقول مثلًا : انا بنت عليّ او حسين . ثمَّ يقول للشاب : وانتَ ابن مَن . فيقول مثلًا : انا ابن حسن او جحي . فيقول الشيخ : أتريد الابنة امرأةً لك . وانتِ ايتها الابنة أتريدين هذا الشاب رجلًا لك . فيقول كلٌّ منهما : نعم . ثمَّ يأخذ الشيخ شيئاً احمر يشبه الحبر ويعلّم بهِ ما بين كتفي الابنة والابن ثمَّ جبهتها ، ثمَّ يأخذ قضيباً طوله شبران او ثلاثة أشبار ويجعل طرَفيهِ بين يدي العروسين ، ثمَّ يقول لكلٍّ منهما : اكسر هذا القضيب . فيلوي كلٌّ واحدٍ منهما الطرَف الذي بيده فينكسر القضيب من وسطهِ ويبقى النصف الواحد بيد الابن والنصف الثاني بيد الابنة . ثمَّ يقول لهما الشيخ : وهكذا انتما تبقيان متحدين الى ان يفرق بينكما الموت كما فرّقت القوّة بين طرفي هذا القضيب الذي كان واحدًا . وهذا يدلّك على ان وجود الطلاق نادرٌ او لا يحدث إلّا لدفع ملمةٍ او لعلةٍ كبرى كالزنا . ولا يحضر حفلة القران إلّا الشيخ وحده

وبقيّة الناس ينتظرون خارجاً في ساحة الدار لان الشيخ يمنع دخول من كان. وبعد ان يتم الشيخُ زواج العروسين يخرج خارجاً ويغلق الباب عليهما ، وبعد مدّة من الزمان يذهب الابن الى الباب ويقرعهُ من الداخل ثلاث قرعات متوالية ليخبر بذلك الشيخ الموجود في الخارج ان الاقتران قد تمّ فعلاً ؛ فيطلق هذا المرتين التي بيده طلقةً واحدة ثمّ يتأثرهُ الحضور بالتصفيق ، وبعد ذلك ينادي الشيخ انهُ قد تمّ الاحتفال فيرجع كلٌ منهم الى بيتهِ ويبقى العروسان بدون شغل مدّة سبعة ايام ، ثمّ بعد ذلك يأخذ كلٌ منهما بمباشرة الاعمال .

دفن الموتى عند اليزيدية

اذا مات الواحد عندهم من العامّة وكان شاباً او عزيزاً او مكرّماً عند اهله يأخذون خشبةً وينحتونها بهيئة انسان، وهذا يسمّونهُ عندهم بلفظة الشكل ويُلبسونها الثياب التي كان يلبسها صاحب الشكل في حياته . ثمّ يأتي الطبّال والزمّار وسائر المطربين ويضربون على الاتهم نغمة الحزن والموت والناس حول الميت يبكون ويندبون وهم وقوف من كبارٍ وصغار ومن اناثٍ وذكور. وبعد مدّةٍ معهودة بينهم يأخذون بالطواف حول هذا الشكل ويركعون لهُ ويتبركون بهِ ، ثمّ يتقدم الاجانب ويقولون لاهلهِ : ما عندكم . فيقول اصحاب الميت : نحن نزوج ولدنا . وهذه هي حفلة عرسهِ الجديد ، ويقيمون هذه السنة الغريبة ثلاثة ايام ، وبعد ذلك يوزّعون الخيرات عن روحهِ ويجدّدون كلّ ذلك في اليوم السابع واليوم الاربعين وفي مثل يوم موته . ثمّ انهم يأخذون صحن لونٍ من الطعام عليه قرصة خبز ويطعمونهُ للفقير يوماً بعد يوم زاعمين في ذلك انهم يطعمونهُ بشخص الفقير وهم يفعلون ذلك الى ان تمضي سنةٌ على موتهِ .

أمّا اذا كان الميت غير عزيز فلا يُفعل لهُ شيءٌ من ذلك ، بل اذا مات الواحد وكان رجلاً يغسلهُ واحدٌ من الرجال او اذا كان الميت امرأةً تغسلها واحدةٌ من الاناث وذلك بعد ساعة او ساعتين من موته او موتها . ثمّ يذهبون بالميت الى غرفةٍ من غرف البيت ويضعونهُ على شيءٍ يُشبه باباً من خشب ، ثمّ يُلبسونه ثيابهُ ويكفنونهُ وبعد ذلك يتقدم الشيخ ويصلي عليه . واذا انتهى من الصلاة يأخذ حبّةً من الحبّ المتخذ من تراب (وهذا التراب يسمّى برانت)

قبر الشيخ عادي ويكمّها ثمّ يعجن حسكاكها في قليل من الماء ويجبل من هذه العجنة شيئاً على وسط جبهته وتحت ابطيه وعلى عينيه وعلى قلبه، ثمّ يعدّ الشيخ الصلاة وعندما يفرغ منها يجعل الميت في تابوت وبلسانهم يسمّى بالوه حصة ثمّ يودع التابوت القبر وكل من يرافق بالوه حصة او يشيّع الجنازة يأخذ عند دفن الميت تراباً ويلقيه على تابوته قائلاً : يا انسان كنت تراباً ، ورجعتَ اليوم الى التراب . وبلسانهم الكردي (ماليز حصه ماه فه زمامه ليز) ثمّ يقول لهم الشيخ: اننا لمّا نرجع الى بيوتنا ونقول قبل ذلك انقم ولنذهب الى بيوتنا يقول الميت من عندم ايضاً لأقم ولأذهب الى البيت مع الجماعة وحينئذ لمّا يريد النهوض ليرجع الى بيته معنا يصدم رأسه حجرًا وهو الحجر الذي وضعناهُ على رأسه لكي لا ينهض وحينئذٍ يقول : ليز ماليز اني من عداد الاموات . ويسمّون هذا الحجر : بالوه سمبر . ثمّ يرجع الجميع الى بيوتهم .

أمّا اذا كان الميت واحدًا من اليزيدية وكان شيخاً فلا يبكي عليه احدٌ ولا تقام لهُ علامات الحداد كمألوف عادتهم بل يدعى المطربون والمغنون ، وبعد ان يوفوهُ حقهُ يرجعون من حيث اتوا مبينين بذلك ان نفسهُ دخلت جنّة الخلد عند موته رأساً فلا حاجة الى ما لا يستغني عنهُ اليزيدية لكن بعد سنّة الدفن تذبح الذبائح من غنم وبقر وتوزّع على الفقراء والبائسين، وأفقر اليزيدية لا يذبح في مثل هذه الايام اقلّ من اربع او خمسة غنمات . أمّا الاغنياء فاقل ما يذبحون خمسين نعجة .

اخلاق اليزيدية وعوائدهم

ان اليزيدية يمتازون بالصدق في كلامهم والقيام بعهودهم، وانما هذه الخصال الحميدة فيهم لتحشهم في دينهم خوفاً من انهم اذا كذبوا او خانوا عهدهم يُلعن الطاووس الملك من جرّاء ذلك . واذا لعن واحدٌ امامهم الشيطان يخبرون عليه اشد الغضب ولا يتركون اللاعن ما لم يقتلوهُ قتلاً ذريعاً وقتلهُ واجبٌ عندهم ذمّةً اينما كان وحيثما يجدونه ووقتما تمكنهم الفرص من الفتك بهِ لا بل ويعدّون قتلهُ من من اعمال البرّ السامية .

واليزيدية يحبون النصارى كل الاجلال ولا يتعرضون لهم ابدًا إلا اذا مس احد النصارى الطاووس الملك فحينئذٍ يستحل قتلهُ لكنهم لا يذهبون ابدًا الى كنائس النصارى ليصلوا فيها ، واذا ذهب النصارى عند اليزيدية ليزوروهم فيتزلون ضيوفًا مكرَّمين فيقدمون لهم انواع المرطبات والفواكه . ومن عوائدهم الحلف وهم يحلفون بالله وبطاوس ملك وبالثياب السود وبلابسيها وبرؤوس اصحابها وهم لا يحلفون بيسينهم. واذا اراد الواحد ان يتأكد امرًا من صاحبه بغير طريقة اليمين يرسم حولهُ دائرة ويقول لهُ : ها انت في كيس يزيد ، اي في دائرتهِ وطريقتهِ وسنتهِ فان كنت صادقًا فيما تقولهُ وتدعيهِ قول (قل) اخرج من كيس يزيد على ان ما اقولهُ هو عين الحقيقة . فاذا كرَّر هذا المسجون في الدائرة هذا الكلام تحقَّق صاحبهُ انهُ لا يكذب وليس من الممكن ان واحدًا من اليزيدية يكذب بهذه الطريقة ما خلاصته اذا خط الواحد خطَّة حول اليزيدي لا يعود هذا يخرج منها اذا عفا اثرهـا رجل آخر وبذات الوقت اذا لعن الواسم الشيطان امام اليزيدي فاليزيدي لا يبدي حراكًا ولا يخرج من دائرتهِ ، والفرق بين الروايتين ظاهرٌ لكل ذي عينين .

امرٌ منكر عند اليزيدية

وعند اليزيدية يوجد امرٌ منكر ، وهذه الفظيعة هي انهم يجتمعون ليلة معينة عندهم في كلّ سنةٍ عند مدخل مغارةٍ سريّة يحيونها في الاكل والشرب واللهو اكرامًا للطاوس الملك وهي الليـلة المعروفة عندهم بليلة الحفشة ثمّ يختمونها بارتكاب اشنع المنكرات واقبح المساوئ . وقد اشاع هذا الخبر نصارى تلك النواحي بدون ان يتحققوا ما يذيعونهُ عنهُ . وان هذا الامر هو مؤكد لا ريب فيه لاني انا حضرت تلك الحفلة[1] بل في سنتهم ان كل امرأة او رجل يزني برجل او امرأة اجنبي عن ديانتهم قتلوهُ ان تمكنوا من اغتيالهِ وألّا يُقبل ولو تاب توبةً نصوحًا . اما الذي يزني بابناء دينهِ فيعاقب عقابًا شديدًا لكن لا يُقتل . واذا كان الرجل زنى بامرأةٍ متزوجة فعليهِ ان يرضي زوجها . أمّا اذا كانت ارملةً فالمرتكب الاثم يرضي المتولي امرها بموجب حكم الامير

(١) في قرية بعشيقا من اعمال الموصل

الاعظم. أمَّا اذا وقعت المضاجعة بين الذكور او بين الاناث فقتل الاثنين واجب للحال، واذا لا يستطيع افراد الطائفة من القتك بحياة المجرمين يُطرد الاثيان من اليزيدية طردًا ابديًا ويُبعدان عن بلادهم. ومن هنا ترى ان العفَّة ونزاهة الاخلاق مشهورة عندهم.

صنائعهم

ليس لهم شيء من الصنائع التي يمتازون بها ولا عهد لهم بالبيع والشراء او التجارة لانهم يعلمون ان مثل هذه الامور تدفع الانسان الى الكذب والغش والمكر فتكون وسائط معقود بها السبُّ واللعنُ والشتم ونحو ذلك راجعة اغلبها الى طاووس ملك، ولهذا يجتنبوها كلَّ الاجتناب عن بُعد كما عن قرب، ويرتزقون من الحراثة والزراعة وتربية الاغنام والانعام لا غير.

اقسام قبائل اليزيدية

وتُقسم اليزيدية الى قبائل عديدة، منها مستقلَّة بنفسها يسوسها اميرٌ مستبدٌّ برأيه وحكمه، ومنها خاضعةٌ للامير الاعظم. فمن هذه القبائل قبيلة الشيخان ﻣﺤﻤﺪﺍﻧﻴﺔ ﻣﺤﻤﻮﺩﻳﺔ ﻣﺤﻤﺪﻳﺔ ﻣﺤﻤﺪﻳﺔ ﻣﺤﻤﺪﻳﺔ ﻣﺤﻤﺪﻳﺔ ﻣﺤﻤﺪﻳﺔ ﻣﺤﻤﺪﻳﺔ ﻣﺤﻤﺪﻳﺔ وغيره ممَّا لا يُعدُّ ولا يُحصى، وكلهم يمتازون بالحماسة والنخوة وشدَّة البأس والبسالة والابلاء البلاء الحسن في الحرب ولا سيما امراؤهم.

ومن رذائل هذه القبائل الحسد فيما بينها واستسهال القتل، فكم من اخ اغتال اخاهُ، وكم من ابٍ قتل ابنهُ، وكم من ولدٍ قتل والدهُ، وكم من صديق ضرب عنق حميمه، وكلُّ هذا طمعًا برئاسة او امارة او نحوها. ثمَّ انهُ قرأت سنة ١٩١٢ في بعض كتبهم التاريخية فيقول: انهُ قبل بضع سنين قتل حسين بك ابن عمه جاسم بك، وحسن بك ابن حسين بك، وهو ابن اخت جاسم بك المذكور ذبح حسين بك القاتل اخذًا بثأر خاله. وفي حادثةٍ اخرى قام ميرزا بك وقتل اخاهُ حسن بك وصار اميرًا مكانهُ. واذا اردنا ان نورد المقاتل والمذابح يقتضي لنا كتابٌ برأسهِ ويظنُّ القارئ ان هذه المذابح يقوم بها رجلٌ واحد لكن الحقيقة انَّما يأتيها رجالٌ متعدّدون باسما. متشابهة.

أسلحة اليزيدية

من أسلحتهم الاسلحة النارية المستعملة عند الجميع. وأمّا قبل خمسة عشرة سنة فكان من اسلحتهم المعروفة المعمل وهي البارودة المروّسة الانبوب من الداخل، وكانت من اهول البواريد المعروفة في تلك البلاد يومئذٍ، والبندقية قصيرة خفيفة واسعة الفم والفرد (القرقار) وهو معروف. وما كان لهم عهد بغير هذه الاسلحة النارية. أمّا الواح السلاح فمنها الرماح والسقوف والقامة.

محل وجود قراهم ومدنهم

يؤخذ مما ذكرناهُ في مطاوي هذه المقالة ان من اليزيدية مَن هم موجودون في الهند وهم المعروفون باسم البكوس، ومنهم من هم في بلاد الروس في بلاد السدحدار، ومنهم من هم في شمال شرقي سوريا وهم الملّيّة ومنهم من هم منتشرون في بلاد ما بين النهرين او الجزيرة وهم المعروفون باليزيدية. اما مدنهم فمنها سنجار تبعد عن الموصل ثلاثة ايام، والشيخان، وهي ارضٌ واسعة فيها قرى عديدة تربي على الخمسين قرية، وهي كلمة فارسيّة ومعناها الشيوخ أي بلاد الشيوخ. وبعشيقا وهي قرية على ميل ست او سبع ساعات من مدينة الموصل، باعذرى، بجزانى، عنصفنى، طفتيا، جابارا، خورزا، بوزان، بجوار القوش، المدينة الكلدانية، شيخدرى اي قرية الشيخ خضر. باقصرى سينا، بيتنارى، خانكو، قباك، خطاره، المامان، دوكانا، سرينا، ڤيدى، بيربوبى، والمعنى ظاهر اي قرية البير المسمّى بوبى المدفون فيها غفانا، محموده جريحا، ومعناها بالكردية مكان الجرح. ويوجد غير هذه القرى أضربنا عن ذكرها حبًّا بالاختصار.

بعد ان ذكرنا قرى اليزيدية بوجه خاص لننظر اليها بوجهٍ عام فنقول: ان كلّ قريةٍ من هذه القرى تشتمل على بيوت لا يتجاوز عددها المئين. ويوجد يوجد منها الى مائة بيت فيها مزارع وبساتين تكثر فيها انواع الفواكه وكلّ هذه القرى المجاورة وهي عند حضيض جبل الشيخ عادي وتسمّى بلاد الشيخان آمين.